غلاب يسلط الضوء من خلالها على تجربة نفي علال الفاسي إلى الغابون

«المنفيون... ينتصرون»..
رواية ترصد سنوات السجن وفقدان الحرية

■ محمد جليد ■

ضمن منشورات المعارف، صدرت للكاتب الروائي عبد الكريم غلاب رواية جديدة تحت عنوان «المنفيون... ينتصرون»، تقع في 222 صفحة، من الحجم المتوسط. موضوعها النفي الذي مارسته فرنسا ضد الوطنيين المغاربة، وغايتها الانتصار روائيا لقضية قلما عالجها الأدباء المغاربة.

يبدو أن الروائي عبد الكريم غلاب لم يدفن الماضي فعلا، خلافا لما جاء في روايته المعروفة الصادرة سنة 1966، بل عاد إليه في روايته الجديدة «المنفيون... ينتصرون»، كما يريد الناقد علي عوتن روايته «لم ندفن الماضي» الصادرة سنة 2006. إلى موضوع قلما تناولته الأقلام. هو موضوع النفي في المغرب. وإذ يركز في هذه الرواية على حالة علال الفاسي، الذي نفي إلى الغابون مدة تسع سنوات، لكنه يحيل من خلالها إلى ظاهرة الانتقام التي مارستها فرنسا بطريقة متوحشة في حق الوطنيين المغاربة إبان الاستعمار.

يعالج صاحب «دفنا الماضي» في هذه الرواية، كما يقول لجريدة «أخبار اليوم» في اتصال هاتفي، قضية مهمة من قضايا تاريخ الحركة الوطنية في المغرب، شكلت محنة من المحن التي عاشها المغاربة إبان الاستعمار. إذ يتناول هذه الظاهرة باعتبارها جسرا لا يستهان به من تاريخ العقاب، الذي سلطته الدول الاستعمارية، خاصة فرنسا وإنجلترا وهولندا، على المقاومين والمناضلين السياسيين، خاصة في شمال إفريقيا وجنوب إفريقيا والهند ومصر (المهاتما غاندي، سعد زغلول، الحبيب بورقيبة، مصالي الحاج، محمد الخامس، وعبد الكريم الخطابي، الخ).

الروائي عبد الكريم غلاب وغلاف روايته

ويصور غلاب النفي، في هذه الرواية، جريمة غير قانونية، غايتها القضاء على أكثر المواطنين التحريرية كما يقدمه باعتباره فعلا همجيا، يتنافى مع المبادئ الحضارية التي تدافع عنها القارة الأوربية، وبوصفه اعتداء على الحرية الشخصية، وعلى حق المناضلين الوطنيين في مناهضة جميع أشكال الاستعمار والاحتلال.

وإذ يعتبر غلاب أن روايته تتناول، أساسا، حالة النفي التي تعرض لها الزعيم الاستقلالي علال الفاسي، الذي نفته فرنسا إلى المجاهل الافريقية (الغابون) لمدة تسع سنوات، فإنه يقول إن روايته تحيل على حالات أخرى، سواء بطريقة مباشرة، امثال محمد بن الحسن الوزاني وأحمد بالبريج، أو بطريقة غير مباشرة، مثل عبد الكريم الخطابي، رمز المقاومة في الريف، غير أنه يرى أن نفي علال الفاسي كان أشد وأقسى حالة نفي يتعرض لها زعيم سياسي مغربي، على اعتبار أنه كان محروما من القراءة والكتابة، ومن زيارات عائلته وأقربائه وأصدقائه. حيث يشير غلاب هنا إلى أن علال الفاسي لم يلتق أي مغربي، ولم يسمع أحد يتحدث اللغة العربية طوال مدة نفيه.

في هذا السياق، يكشف غلاب، خلال الاتصال ذاته، أن الغاية من تأليف هذه الرواية هو تسليط الضوء على الآثار النفسية والاجتماعية، التي تفرزها عملية الانتقام هذه في المنفي نفسه، ثم في بلدين، أيضا، أي معطى جوانبها الإيجابية، مثل الرغبة في التعلم والاستفادة، التي نشأت لدى المنفي خلال فترة نفيه، إذ يشير إلى أن فرنسا كانت هذه الرغبة في نفس علال الفاسي، في محاولة منها، ليس لإبعاد الجسم فقط، بل إبعاد الفكر والعقل والكلام أيضا.

غير أن الرواية لا تصور المأساة فحسب، فهي ترصد كذلك نشوة الانتصار، انتصار المنفي، والمقصود بالانتصار في هذه الرواية تحقيق استقلال المغرب وعودة المنفيين بعد أن ظنوا أنهم سيقبرون في المنافي. ومن هنا، فهو يفترض أن المغرب الحديث مدين لهؤلاء الذين «وإن ثمن فقدان حريتهم، وعانوا سنوات طوال من الشقاء والبؤس، وذاقوا مرارة السجن وعذاب النفي والاضطهاد».

أجهزة يتساءل الشعب أين هي؟

■ من المؤكد أن المغرب أصبح غنيا بالقوانين والأجهزة الإدارية حتى إن المتدربين يزعمون أن كل قضية يكون لها جهاز، على غرار كل قضية تكون لها لجنة. وإذا كان قد شاع عن اللجان أنها جهاز لإقبار القضايا، فيخشى أن تكون الأجهزة المكونة وسيلة لإقبار المسؤوليات المكلفة بها.

لا نتشاءم. فما من جهاز يكون في الدولة إلا وتناط به مسؤولية ضخمة إذا قام بها استقامت أمور الدولة وأصبح في مقدور الحكومة أن تنتج أكثر.

بالمثال يتضح المقال:

معروف أن المغرب يتوفر على جهاز مهم للمراقبة المالية هو المجلس الأعلى للحسابات وصدر قانون به في أواخر السبعينيات. ومنذ بضع سنوات تجدد جهازه البشري وأطره. والمفروض أن المجلس الأعلى للحسابات يراقب كل درهم يتجول في المغرب (في المال العام) ويعرف أين ذهب والمسارب التي يدخلها والمناطق الواضحة أو الغامضة التي تحرك فيها. والمفروض أنه يراقب صرف الميزانية وينبه إلى الأخطاء، ويراقب مالية المؤسسات المنتخبة (شريعية وجماعية). والمفروض أن يكون أول من يفطن إلى التلاعبات الصغيرة والكبيرة في المال العام. والمفروض أن يقدم للدولة (الملك والبرلمان) تقريرا سنويا عن سير الأمور، وعن الاستقامة أو الخلل في كل ما يخضع للحسابات باعتباره المجلس الأعلى لها.

ومع ذلك يتساءل الشعب: أين هو المجلس الأعلى للحسابات وهو يطلع على ما يحدث من جرائم مالية، ويطلع . ويعرف جيدا . كيف تسير الأمور في كثير من الإدارات: وزارية ومكاتب عمومية وشبه عمومية، وصفقات و«اصلاحات» وهمية ورحلات جوية (في الدرجة الأولى) لا وجود لها ومشتريات إدارية لا تصل إلى الإدارة، وسيارات تشترى (ويعاد شراؤها)...

المال العام أصبح نهبا لكل من ينهب أو يتعلم كيف ينهب.

من يراقب ذلك إذا لم يكن المجلس الأعلى للحسابات في مقدمة الأجهزة المسؤولة عن الرقابة؟

سؤال القبه ومعه سؤال آخر: كم عدد الذين سمعوا من أفراد عن المجلس الأعلى للحسابات؟ وكم عدد الذين بلغهم نشاطه وتقاريره؟ أسئلة لمجرد المعرفة.

. الجهاز الثاني الذي تاسس تحت اعجاب المواطنين (وكدت اقول تحت زغاريد النساء المظلومات على الأخص) وهذه المؤسسة اسست سنة 2001 لتخلف وزارة الشكايات القديمة في تاريخ المغرب، واختصاصات ديوان المظالم واسعة يمكن تلخيصها في دراسة وبحث وانصاف كل مواطن ليتقدم بشكوى ظلم وقع على مواطن او شكاية من إدارة ما او من جماعة منتخبة ما، او من اي مواطن وجد نفسه ضحية قرار او عمل يتنافى مع القانون، سواء صدر القرار من إدارات الدولة او المؤسسات العمومية او الجماعات... وغير ذلك من المسؤوليات التي يتحملها ديوان المظالم.

إذا سالت المواطنين عن عنوان ديوان المظالم؟ أجابوك بسؤال: وهل يوجد في المغرب ديوان للمظالم؟

الواقع أن الأعمال الكبرى المنوطة بديوان المظالم لا أثر لها عند الشعب، إلا إذا كان عمله سريا يعالج بين الظالم والمظلوم. ولا يعرف غيرهما ما حدث، وهل انصف المظلوم من الظالم.

الذي نعرفه ان المظالم الإدارية كثيرة وتزيد في كثرتها عن الانصافات ولذلك كان يمكن ان نسمع إذا قام الديوان بتصفية مظلمة ما، ان نسمع ما حدث حتى يكبر الشعب ويصفق لعمل الديوان.

. المجلس الأعلى للاتصال السمعي والبصري، عمره ما يزال في عمر الورد. تصل لنا حتى الآن رائحة الورد الجميلة من هذا الجهاز. فالشعب في الانتظار.

. كدت أضيف جهازاً آخر هو المجلس الأعلى لحقوق الإنسان ولكن توقف القلم ولم يتحدث عن نشاط هذا الجهاز، بعد أن توصلنا بعلين مهمين . هما تقريران عن تطور حقوق الإنسان، وعن وضعية السجون في المغرب . ولو أن السيد وزير العدل اكد أن تقرير السجون هو من صنع إدارة السجون. ربما كان من صنعها وهو يحمل توقيع مجلس حقوق الإنسان.

مهما يكن فإن التقريرين يجب أن يكونا خلاصة عمل لا دراسة نظرية مما يجب أن يكون من عمل. مع متمنياتنا لمؤسسة حقوق الإنسان بمزيد من التوفيق في تقديم التقارير.

لا أريد أن أتتبع جميع المؤسسات التي يسمع عنها الناس يوم تاسيسها ثم تغيب غيبة الشمس في فصل الشتاء. هذه الأجهزة مؤسسات تكلف الدولة الكثير ويعقد عليها الشعب كبير الآمال. ولكن...

التعليم
أين المنهج الجديد والفلسفة الجديدة؟

■ انتهت السنة المدرسية والجامعية . قريبا سيتنفس التلاميذ والطلبة والأساتذة الصعداء في الطقس اللاهب. ويوم «يتحرر» التلاميذ تبدأ الوزارة في تنظيم وترتيب العام المقبل. وفي إصلاح وترميم المدارس، خاصة منها ما تلاشى سقفه وتداعت جدرانه. وتبدأ بالطبع في إلقاء النظرة الأخيرة على المدارس الجديدة في البادية والحاضرة التي ستستقبل التلاميذ الجدد الذين يفتحون أعينهم لأول مرة على نور المعرفة.

الوزارة - وزارة التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي وحتى محاربة الأمية . (الله يكون في عونها) لأول مرة تتحمل مسؤولية المعرفة من أ ب... حتى آخر نظرية في الفيزياء والكيمياء والطب البشري. مسؤولية ضخمة..! أليس كذلك؟ ولكن التقشف في عدد الوزراء جعلت الحكومة تنشد قول الشاعر:

وقد يجمع الله العالم في واحد

ليس المهم هو هذا. ولكن الأهم من المهم هو ماذا ستقدم الوزارة «المتضخمة» للتعليم بجميع مراحله في عامه الجديد؟ سؤال لم تلقه حتى الآن الوزارة. ولم نسمع عنه جوابا.

العالم كله - والشباب الصاعد منه في المغرب - التي أسئلة خطيرة من هذا النوع. العالم يتغير كل دقيقة. ومتطلبات العلم والفكر تتغير... والتنمية الاقتصادية تلح في طلب أطر جديدة، بمعارف جديدة، وبتقنيات جديدة... وبعقليات جديدة... مناهج التعليم يجب أن تستجيب لما يتطلبه العصر، وما يتطلبه تطور المعرفة. وما تتطلبه البلاد وهي تخوض معركة مصيرية هي معركة التنمية وتشغيل الإنسان، وتوظيف فكره في الابتكار العلمي والتقني ومسايرة الابتكارات الجديدة في المعرفة العلمية والتقنية.

الشباب يتساءل أيضا: التعليم - في منهجه المتقادم حتى مقترحات الميثاق الوطني - أصبح متجاوزا. وهو يفضي الى البطالة والتشرد و «تجمع» الدكاترة في وقفة احتجاجية بباب هذه الوزارة أو تلك، وبوابة هذا المجلس للنواب، أو ذاك المجلس للمستشارين.

والشباب يسأل: كل شيء يتغير. والمفروض أن التعليم أول ما يتغير في مناهجه وبرامجه وأسلوب أدائه ومواده الأساس، بل في هيكله (الابتدائي - الإعدادي - الثانوي - العالي) يقول الشباب: لعل آدم وحواء وابنيهما هابيل وقابيل تعلموا بهذا المخطط. وفي منتصف العشرية الأولى من الألفين بعد المسيح ما نزال نزحف على نفس الدرج من الابتدائي حتى العالي، حتى الخجول في الشوارع عاطلين.

كل الآباء والأمهات (كل الشعب) ينشغل على الأجيال الجديدة: أجيال المستقبل لأنهم سيواجهون نفس المصير الذي يواجهه أجيال الماضي وأجيال الحاضر. ولكن لا ينفع حفر من فير... ولا ينفع إشفاق من سياسة مقررة تسير عليها البلاد الى أن يأذن الله بمؤتمر جديد ينعقد في إفران ليخرج بميثاق جديد للتعليم... ولا تغيير بين الميثاق (الميثاق مأخوذ من «وثق» لا من الوثوق).

لنفكر جديا في تعليم جديد لعصر جديد وجيل جديد. والزمن لا ينتظر. والبلاد إذا لم تتقدم تأخرت...

ونحن في عصر يرحب بالتقدم ويرفض التأخر.

خطب الجمعة بين الوعظ والاستهتار بأصول الإسلام

■ من الواضح أن خطبة الجمعة يجب أن تتطور لتكون توجيها سليما للقيم الأخلاقية والاجتماعية والوطنية في حدود الإسلام.

من الواضح كذلك أن اختيار خطباء الجمعة يجب أن يخضع لاختيار مهم ودقيق . الخطيب يخاطب مئات المصلين ، وأحيانا ملايين المسلمين إذا كتب لخطبته أن تذاع في الإذاعة أو التلفاز. ولذلك لايمكن أن يكون كل من عرف قليلا من علوم الشريعة خطيب جمعة، لأن الخطبة رسالة سنها الرسول وقام عليها بنفسه ، فكان يخطب في الناس ويصلي بهم كجزء من الرسالة التي تحملها من الله. وإذا كان الخطباء من بعده ساروا على منواله ، فقد كانوا حذرين من أي لغو أو تضليل للمسلمين عن أصول دينهم.

وفي العصر الحديث نجد في بلاد كإيران يقوم رئيس الدولة بخطبة الجمعة، فيعرض لقضايا الساعة ، وخاصة التي تمس إيران، دون أن تعتبرخطبته عملا سياسيا أو توجيها خارجا عن مهمة الخطبة أو خارجا عن تقاليد الإسلام.

من هنا يمكن أن نقول: إن وزارة الأوقاف مكلفة بتكوين وإعادة تكوين خطباء الجمعة، نظرا لأن المهمة ليست سهلة وإنما هي مبعث للزلل أو التطرف أو التفاهة مع أن الخطبة كخطاب أسبوعي يجب أن تكون له صلة بالحياة وقضايا الساعة، وليس من الضروري أن تكون دائما في الحث على الجنة ودخولها. والتحذير من النار والاحتياط من الاقتراب من أبوابها.

بالإضافة إلى ضرورة التكوين وإعادة التكوين نجد أن المجالس العلمية تبعث بمذكرات توضيحية للخطباء. ويحدث أن هذه المذكرات لاتتضمن إلا توجيهات تزيد في تعميق تفاهة خطب الجمعة بالإضافة إلى مغالاتهم في الدعوة إلى ما ليس من أصول الإسلام، أو ما لا يتعلق بالأوضاع الاجتماعية والاقتصادية التي يعانيها المواطنون.

وزارة الأوقاف تتحمل مسؤولية الانحرافات التي يقع فيها بعض الخطباء لأن صلتها بالموضوع محدودة، وبعض مذكرات المجالس العلمية منحرفة، يعدل عن بعضها لانحرافها. والمزايدة بين بعض الخطباء تعمق جذور الخلافات الاجتماعية في الأسر، وتثير مشاكل بين الزوج وزوجه أحيانا، ومشاكل في المجتمع عموما.

لخطبة الجمعة صلة بمسيرة الحياة. كثير من المصلين يهجرون صلاة الجمعة لرداءة الخطبة، وكثير من البسطاء يعتبرون أن كل ما فاه به الخطيب هو أصل الدين. وربما كانت اجتهادات بعض الخطباء في الحديث عن بعض مفاهيم الإسلام ناتجة عن نقص في معلوماتهم أو تفهمهم للقضايا، وهذا ما دعانا إلى الدعوة إلى تكوين الخطباء وإعادة تكوينهم من جهة، ثم مراقبة التوجيهات التي ترسل إليهم في المذكرات التي يتلقونها، ثم مراقبة بعضهم ممن يزيغون عن القول فلا يتبعون أحسنه، ومراقبة المزايدات التي يقصد منها زعزعة بعض العواطف. ومراقبة ما يؤدي من هذه الخطب إلى إثارة البعض فينفذ الأوامر والنواهي بنفسه عن طريق الإرهاب، أو ينأى بنفسه عن لغو القول فيترك صلاة الجمعة بعدا عن هجر القول.

القضية ليست سهلة أو يمكن معالجتها باستهتار. وما عهدنا في وزارة الأوقاف في عهدها الحالي أن تعالج القضايا باليسر والاستهتار.

ارتفاع مستوى تكاليف المعيشة ظاهرة صحية؟ مرضية

■ المؤسسات الاقتصادية في الدول المنظمة تتبع مستوى المعيشة والرقم الاستدلالي لارتفاعها أو انخفاضها. المندوبية السامية للتخطيط تقوم مشكورة بتوزيع نشرة في الموضوع. ليست مهمتها إخبارية فحسب، ولكن مهمتها أكبر من ذلك، إذ انها تشير الى تطور مستوى الحياة، ومدى قدرة المواطن على مواجهة التطور التصاعدي في الأسعار.

والنشرة وحدها لاتكفي لأنها ترصد واقعا هو ارتفاع الأسعار (نسبيا) بين شهر وآخر، بين سنة وأخرى ، لاتكفي لأن المهم هو معرفة الأسباب الاقتصادية للارتفاع أو الانخفاض . ثم معرفة تاثير ذلك على مستوى الحياة: هل تسير نحو الأسوأ أم هو متوازن لايفرز خطرا على مستوى الحياة في المغرب. ثم إن تتبع الرقم الاستدلالي مع مقارنته للاسعار بالأجور يفرز ظاهرة ربما كانت عادية أو خطرة بالنسبة للتوازنات الاجتماعية. فالزيادة البسيطة . مثلا . في شهر مايو الماضي التي سجلت 0.4٪ بالنسبة لشهر ابريل قبله، تعتبر زيادة بسيطة لاتؤثر على مستوى حياة العائلة الفقيرة والمتوسطة، ولكن حينما تقارنها بالرقم الاستدلالي لشهر مايو لسنة 2003 نجد انه سجل زيادة بنسبة 2.4٪ . وهي نسبة تؤخذ بعين الاعتبار في بلاد تتجمد فيها الأجور، إلا عندما «تحلم» الوزارة المكلفة فتقرر الزيادة في الأجور الدنيا كما حدث في القرار الأخير الذي صدر عن وزارة الشغل والشؤون الاجتماعية.

إذا فرضنا أن الزيادة توقفت عند هذا الحد 2.4٪ أو أن الزيادة في الأشهر الخمسة الأولى من السنة الحالية وصلت إلى: 2.1٪ وهو مؤشر مزعج في مدى 5 أشهر . قد تتضاعف في السبعة أشهر التالية من السنة . إذا سارت الأمور على هذا النحو فسيكون لارتفاع الرقم الاستدلالي لمستوى المعيشة بهذه النسبة نتائج سيئة بالنسبة للمواطن، من ذوي الدخل المحدود أو المتوسط:

من هذه النتائج:

. إن مستوى الحياة سينخفض بالتتالي، فمصروف العائلة في الغذاء والكساء والسكن والتطبيب سينخفض على حساب صحة الأطفال وتعليمهم وكسوتهم لمواجهة البرد المقبل. ولا نتحدث عن رفاهيتهم. وإن كان مهندسو الرقم الاستدلالي يدخلونها في الحساب.

. نتائج ذلك مع الاستقرار العائلي غير مضمونة. فالزوجة مثلا تطالب بزيادة الانفاق، والزوج يحتكم إلى الغلاء وتجمد الدخل.

. يؤدي قطعا إلى مزيد البطالة. فالأب الذي عجز عن الانفاق على ابنه (التلميذ) الذي بلغ الثامنة عشرة سيدفع به إلى سوق العمل ليضاف إلى العاطلين.

نتائج أخرى تفرزها ممارسة الحياة ويسببها تصاعد الرقم الاستدلالي للأسعار

إذا كنا نعتبر ان الزيادة في الأسعار بهذه النسبة قد تكون طبيعية فإننا نستغرب زيادتها في المواد الغذائية في سنة ممطرة من جهة، ولم يتغير شيء في المواد التي تدخل في الغذاء. ومنها الطاقة للنقل وأجور الشغالين وضرائب الأرباح، إذا كنا نستغرب الزيادة في المواد الغذائية، فإننا نستغرب أكثر من الزيادة العامة في الأسعار التي لا تقابلها زيادة في الأجور. قانون السلم المتحرك يجب العمل به . تلقائيا . من جديد، ولو أنه يؤدي إلى تضخم كرة «الثلج» كلما تدحرجت، لأن الزيادة في الأجور تساهم في الزيادة في الأسعار، نظرا للدور الذي تلعبه الأجور في تكاليف الإنتاج.

مهما يكن فهذه ظاهرة لا يكفي فيها رصدها وإصدار نشرة بالتغيرات الحاصلة فيها. ولكن من الضروري مواجهتها حتى لا تزيد في أعباء الطبقات الفقيرة والمتوسطة. وذلك لا يكون إلا بنظرة شمولية للاقتصاد من الوجهة الاجتماعية. وليس فقط بتسجيل الأرقام.

هذا رأيي

هي «السلطة» فأين هي السيادة؟

■ سلم جيش الاحتلال الأمريكي السلطة للحكومة المؤقتة العراقية. وحسنا فعلت قوات الاحتلال بعد 15 شهرا من الاحتلال والحرب المعلنة وغير المعلنة، وبعد مئات الضحايا من العراقيين وعشرات الضحايا من الجيش الأمريكي.

وصاحب هذا العمل المشكور إعلان الولايات المتحدة أنها لن تسحب جيشها من العراق إلا عندما ترى ذلك مناسبا... ومتى رأت دولة احتلال أن الجلاء عن الدولة المحتلة مناسب؟ تصريح الولايات المتحدة يؤكد بلغة صريحة أن جيش الاحتلال سيظل قابعا في العراق الى الأبد، أو يخرجه العراقيون بانفسهم كما فعل الفيتناميون والكوريون.

وهو وعيد ينذر بأن الأمن في العراق لن يستقر وأن الدولة العراقية لن تقوم لها قائمة. ذلك أن المعادلة العراقية تقول -بمنطق العمل- أن الشعب العراقي سيقاوم الاحتلال بالعنف الى أن يتحقق الجلاء. والمنطق الأمريكي يقول: إن الجيش الأمريكي لن يجلو -وسيظل يحمي نفسه بالقوة- الى أن يرى ذلك مناسبا. نتيجة المعادلة استمرار المقاومة، واستمرار جيش الاحتلال للقضاء على المقاومة...

أيهما سيقهر الآخر؟

عسكريا: جيش الاحتلال سيقهر المقاومة... ولكن معنويا: المقاومة ستقهر جيش الاحتلال، لأن الشعب الأمريكي لن يحتمل تقديم مزيد من الضحايا في موضوع ظالم. ولا يجني منه رجل

• محمد بن صالح

الشارع الأمريكي الذي يموت ابنه في صحراء العراق وعلى أطراف دجلة والفرات، لا يجني منه إلا تأييم زوجة القتيل وتيتيم أبنائه، وإصابة آبائه بالثكل.

أمريكا تحدث بمقولة أخرى وهي أنها ستراود الحلف الأطلسي بنشر قواته في العراق، إذا استطاعت أن تقنع فرنسا والدول المعارضة الأخرى. ومعنى ذلك أن القتلى في العراق سيكونون مستقبلا من جيش متعدد الجنسيات. ولكن «السلطة» العراقية التي سلمت هل ستقبل أن تحتل بلادها جيش متعدد الجنسيات؟

البقية..... ص 9

استثمار... واستثمار

■ الهاجس الكبير في المغرب وغير المغرب من الدول المماثلة اقتصاديا هو الاستثمار. ويغلب على الظن ان الرغبة في الاستثمار الخارجي اكثر من الاستثمار الداخلي. الاعتقاد السائد ان المستثمرين الاجانب يأتون ومعهم برامجهم الموسعة لانشاء مؤسسات استثمارية صناعية او سياحية او تحويلية وخدماتية. وما يؤخذ على المفكرين في الاستثمار انهم يهملون الاستثمارات الداخلية، فيتركونها لهوى المستثمرين ان يسهموا في برنامج استثماري مخطط له. وغالبا ما يكون الاستثمار فرديا (براسمال فردي ضعيف) وغالبا ما يكون استثمارا بدائيا يبحث عن الربح العاجل. نظرا لكل ذلك يعتبر الاستثمار الداخلي خارج مخطط الجهود المبذولة للاستثمار الاقتصادي الحقيقي. يضاف إلى تخلي الدولة والافراد المستثمرين الذين كثيرا ما يلجأون إلى العمل الذي اشرنا إليه ، المشاكل الادارية والمعاملات غير النظيفة، التي يجعل كل من يرجى منه الاستثمار، يفر بماله إلى المضاربة في العقار او في التجارة المحدودة الافق.

كان من الضروري ـ والحكومة تبحث عن الاستثمار ـ بالريق الناشف ـ ان تقوم بتنظيم الراسمال المغربي وتقديم برامج استثمارية تضمنها الحكومة ويساهم هذا الراسمال بصفته الوطنية في تحريك الاقتصاد المغربي.

ولكن الذي يحصل ان الحكومة لا تهتم، والراسماليون المغاربة يهملون ولا يهتمون . ويخرج المغاربة من خدمة بلادهم اقتصاديا إلى الخدمات الفردية التي لا يمكن ان تدخل في نظام الاستثمار.

والاستثمار الخارجي هو الآخر في حاجة إلى انتقاء واختيار. افهم ان بعض الشركات الأجنبية تتدخل لشراء أسهم ـ قليلة او كثيرة ـ من بنك ما. افهم ان شركة اجنبية تساهم في شراء الخط التلفوني الثاني او الثالث. افهم ان شركة ما تخوصص الدولة لصالحها الحافلات في الدار البيضاء، او مراكش، او تخوصص التنظيف وشركة استثمار الكهرباء والماء وتوزيع هاتين المادتين الحيويتين... افهم ان الحكومة تقوم بكل هذا وتعتبر من باب الاستثمار الأجنبي في بلادنا، وان شركة ما وظفت اموالها في هذا القطاع او ذاك لتنوب عن المغاربة (الذين لا يفهمون شيئا) في جمع الأزبال وتوزيع الماء والكهرباء وتسيير الحافلات...

ولكن هذا استثمار جر نفعا للآخرين وافقد المواطنين السيطرة على تسيير انفسهم بانفسهم. وكان يقال عن «الاستقلال الذاتي» هو ان تمارس الدولة شؤونها بنفسها. وكان يقال عن الحماية انها كانت حكما مباشراً، بمعنى ان موزع البريد كان احيانا فرنسيا. فهل يعتبر هذا العمل الذي تقوم به الحكومة والجماعات وعمداء المدن استثمارا؟ أم انه عودة بالمغرب إلى ما قبل سنة 1955؟

من كان يفهم غير هذا فليفدنا واجره على الله...

هذا النوع الثاني من الاستثمار يجب الا يكون محسوبا على الاستثمار الذي يعتبر هاجس الحكومة.

النوع الثالث ـ وهو الاستثمار الحقيقي ـ هو استجلاب رؤوس اموال مهمة من شركة عادية او شركة متعددة الجنسيات، تقوم باستثمارات مفيدة للمغرب بتوظيف الأموال في قطاع اقتصادي منتج والقطاعات المنتجة الان متوفرة في الصناعة. وقليل جدا في السياحة.

ومن المؤكد ان الأبواب مفتحة، خاصة من اوربا وامريكا التي تفر منها الشركات لتكاليف الضرائب والضمان الاجتماعي، مما يستنزف جزءا مهما من مداخيل العمل او المشروع، رؤوس الأموال تفر للبلاد التي لها صلة قريبة من جهات الاستهلاك، وبالمناطق التي تتوفر على سهولة الحصول على وسائل الإنتاج ورخصها الأرض ـ التجهيزات ـ العمال ـ التكاليف (الأجور والضمان الاجتماعي) ـ الضرائب الاقل تكلفة.

مئات الشركات تقفل ابوابها في اوروبا وتفر إلى آسيا او جهات افريقية اخرى. ولكن المغرب ماحظه منها. لنسال المسؤولين عن هذا النوع الثالث من الاستثمار ليقدم لنا ارقاما مقنعة، حتى نستطيع ان نقتنع بان البلاد تسير في طريق التنمية الاقتصادية عن طريق الاستثمارات المثمرة.

احترام القضاء
يتجلى في تنفيذ أحكامه

■ نشرت العلم أمس موضوعا مهما يتعلق بتنفيذ احكام القضاء بمختلف قطاعاته الجنائية والادارية والتجارية. ولكل من هذه القطاعات فروع تتصل بالأحكام الصادرة ضد الأفراد والشركات (التامين في مقدمتها) والادارات العمومية وشبه العمومية. لا اريد ان اعود إلى هذا البحث الذي استند إلى تصريحات وارقام ادلى بها السيد وزير العدل. ولكن فقط اريد ان اخلص الى نتيجة هي ان نحو 50٪ من الأحكام لم تنفذ، رغم الجهود التي بذلتها الوزارة.

على ما يدل ذلك؟

الظاهرة التي يجب ان تجهر بها هي ان الذي لا ينفذ حكما قضائيا، وخاصة احكام الغرامات - لا يحترم القضاء. وكان من الضروري ان يفرض القضاء احترامه باجبارية التنفيذ وإلا تضاعفت العقوبة او تحولت إلى عقوبة الاكراه البدني.

عدم احترام القضاء له سبب ونتيجة

اما السبب فهو ان احدا لا يجبر احدا على التنفيذ وان الادارات الرسمية والوزارات لا تنفذ فلذلك يتهرب الافراد العاديون من التنفيذ، وسبب مهم وهو ما ذكرناه من غياب الإكراه على التنفيذ في الحال. هذا الاكراه على التنفيذ يجب ان يحدث ولو ادى ذلك الى انشاء جهاز قضائي - سيكون مؤقتا طبعا - لا مهمة له إلا التنفيذ، وإصدار احكام جزائية على غير المنفذين، ولو كان هذا الممتنع وزارة او إدارة.

حينما يجد المحكوم عليهم - ولو بدرهم رمزي - ان احدا لا يطالبهم وبالتالي لا يكرههم على التنفيذ ينصرفون إلى شؤونهم اليومية دون ان يكون لحكم القضاء عليهم اثر في نفوسهم او ضمائرهم.

وهذا السبب يؤدي إلى الاستهانة بالقضاء وعدم احترامه

اما النتيجة فهي ان عموم المواطنين والوزارات والادارات لا يخيفها ولا يخيفهم القضاء - ومن ثمة لا يلتجئون إليه لكل مشاكلهم. وكثير من المواطنين حينما يعجزون عن حل مشكلهم بالحوار يرفضون ان يرجعوا إلى القضايا لانهم متاكدون من شيئين: طول مدة عرض القضية حتى إن بعض القضاء مات فيها المدعي والمدعى عليه ومات ابناؤهم، وملفها لم يفتح بعد في المحكمة. وثانيهما عدم التنفيذ. كل صاحب حق حينما يجد ان القضاء لا ينصفه في حقه، يرفض المؤسسة - القضاء وهو يضحك (...؟) لانه يعرف الا فائدة من حكم يصدر لصالحه.

بالاضافة إلى ما يؤدي إليه ذلك من عدم احترام القضاء، فإن كثيرا من المظلومين يلجأون إلى «اخذ حقهم بايديهم» وتلك هي الفوضى وانعدام المسؤولية، وتدهور انظمة الدولة.

هذا موضوع اثير عدة مرات ليس في البرلمان والصحافة فحسب، ولكنه يثار يوميا بين المواطنين في أحاديثهم العادية. وإذا كان من المشكور ان وزارة العدل بذلت جهودا في التنفيذ، فإننا لا نرجو ان يكون هذا المجهود عملية استثنائية، يعيد التراكم بعدها للقضايا غير المنفذة في ملفات المحاكم. الحل هو اقران التنفيذ بالحكم في اجل مدقق وإلا تضاعفت العقوبة حتى تبلغ حد الاكراه البدني.

غير ان الوزارات والادارات يجب ان تضرب المثل الصالح حتى لا يكون مثلها طالحا للذين يعرفون انها - وهي جزء من الدولة - لا تنفذ فيمتنعون هم عن التنفيذ. وهم فقط مواطنون عاديون داخل الدولة.

التاريخ لايجب أن يعيد نفسه

■ كان السيد الوزير الأول محرجا وهو في باريس، بقدر ما لم يكن محرجا وهو في المغرب. تأكد مرة أخرى، كما تأكد المغاربة جميعهم، أن المغرب بيت من زجاج يرى فيه الخارج، وهو يحيط به، أكثر مما يرى الداخل وهو في قلب البيت الزجاجي.

والحقيقة أننا كلنا محرجون ليس لخرج السيد الوزير الأول أمام الصحافة، فتلك ضريبة يؤديها كل مسؤول في هذه البلاد خاصة إذا تعدى الحدود ووصل إلى بلاد أخرى يهب فيها نسيم الحرية. ولكنا محرجون لأننا بدأنا نشهد التاريخ يعود القهقرى كشريط سينمائي يدور عكسا، رأينا أحداثا تحدث، كنا نشفق على المغرب حينما سجلها التاريخ في طبعته الأولى، كنا نخاف أن تحدث انفجارا في المغرب كسيارة مفخخة. وأخذ الشعب ينفس الصعداء، بعد أن بدا التاريخ يطوي صفحاته، وتأسست وزارة حقوق الإنسان، وتأسست الهيئة الاستشارية لحقوق الإنسان، وبدأت المنظمات الحقوقية تفتح فاها، وتجهر بالقول، وبدأت المنظمات الدولية (منظمة العفو الدولية) مثلا، تعطي في تقاريرها المتعددة (بون بوان) للمغرب، وتتحدث بكلام طيب عن المغرب، وسمعنا لجنة المصالحة في المغرب، وعن تطييب خاطر بعض ضحايا «تازمامرت»، ولو بمساعدات مالية ورد الاعتبار، ولو بدون مال، لأن المال لا يرد اعتبارا للكرامة والحرية.

استبشرنا خيراً بالمفهوم الجديد للسلطة. وأكدنا لأنفسنا، بالحق أو بالباطل، أن كل ذي سلطة في هذه البلاد، سيمارس المفهوم الجديد. لأنه مفهوم صدر بقرار من جلالة الملك. وهو قرار يجب تنفيذه. كان منا من يؤكد أن أطلال التاريخ، السيء السمعة، لن تتجلى بين عشية وضحاها، وأن بعض الناس يجب أن يتمرنوا ليتعايشوا مع المفهوم الجديد للسلطة. وقال هؤلاء: لا بأس قشهور أو سنة تكفي للخروج من الظلال السوداء إلى نور الحقيقة والحرية والعدالة والكرامة.

الآن يتحدث الشعب عن أشياء تحدث، لا تختلف كثيرا عما كان يحدث في التاريخ سيء السمعة. ويتحدث الناس عن بعض تفاصيل ما يحدث، ويذكرون أسماء بعينها، كما كانوا يذكرونها في الماضي الذي نفناه. ويقولون: إن المشجب الذي تعلق عليه صنائع بعض السلط هي الإرهاب.

القانون موجود والعدالة مشرعة والمحاكم لا تعرف عطلة الصيف. ولذلك فالإرهاب يخاف العدالة ويحترمها. ولايخاف التعذيب ولايحترمه.

كل ما يطلبه الشعب في تطبيق المفهوم الجديد للسلطة هو تلقين وتعليم هذا المفهوم بالأمثلة لكل ذي سلطة. هو احترام حرية المواطنين وكرامتهم. هو سيادة العدالة واحترام القانون وحكم القضاء. هو محو الخوف من ذاكرة كل المواطنين. هو سيادة الأمن بين الناس في حياتهم ومسيرتهم وليلهم ونهارهم.

لنا تجربة من الماضي سيء السمعة. مازال تذكرها الصحافة الدولية فتتساءل في وجه السيد الوزير الأول: هل عاد الماضي؟ وتتساءل منظمة العفو الدولية: هل أعاد التاريخ نفسه؟ ويتساءل الشعب أين المجلس الاستشاري لحقوق الإنسان؟ لايقبل الناس أن يكون مجلسا لكتابة التاريخ بعد أن يقع، ولكنهم يعتبرونه مجلسا يعلن الحقيقة حين وقوعها، ويقول للماضي: عد الى مكانك. فالتاريخ لايعيد نفسه...

استمعوا الى ما يقوله الشعب، قبل أن تزعجكم ما تقوله الصحافة الأجنبية.

الأرض لمن يحرثها

■ شعار رفعه حزب الاستقلال في الوقت الذي كان الاتجاه قويا في توزيع الأراضي المغربية، والمسترجع منها من المعمرين على الأخص - على «المحظوظين» والمتمولين، وغير المهتمين بالفلاحة، ولا هي من شغلهم. وكان التوزيع والتصرف في الأرض يأخذ طابع السيبة ودون أن يوضع السؤال: لمن هي هذه الأرض التي تفوت أو توزع؟ ولو وضع السؤال لكان الجواب: إنها أرض الشعب ولا أحد يملكها غير الشعب.

واعتبر الشعار تحديا للعبث بالأرض الفلاحية، واعتبره بعض إقطاعيي الأرض تحديا لهم، كأنه كان يطالب بانتزاع الأرض منهم لتوزيعها على الفلاحين. وإذا كان الشعار يستهدف عدم توزيع الأراضي المسترجعة على غير الفلاحين الذين انتزعها منهم الاستعمار وخاصة أثناء سطوة المعمرين في عهدي المقيمين العامين: «سنيغ» و «لوسيان سان»، فإنه لم يكن يستهدف كبار ملاك الأرض الذين ملكوا الأرض بعرق جبينهم، والذين «يشقون» مع الأرض ويستثمرونها لصالح قطاع الفلاحة، ولصالح الفلاحين العاملين فيها، ولصالح التنمية الفلاحية.

ويتحدثون الآن عن مشروع لإلقاء مؤسستي سوجيطا والسوديا اللتين أدارتا الأراضي المسترجعة طوال نحو خمسين عاما بشكل الله وحده يعلم أسراره، ولعل ملفهما سيفتح ولا يقفل. المهم أن الحكومة في إدارة جديدة لأراضي الدولة الفلاحية (معظمها) كان قد أصبح من أملاك المعمرين - المشروع يقوم على تجزئة هذه الأراضي الى ثلاثة أجزاء:

- جزء يبقى تحت إدارة الوزارة الوصية لإجراء التجارب العلمية واستنبات البذور.
- جزء يفوت للمستثمرين الخواص على أساس دفتر للتحملات (ما يزال الدفتر في عالم الغيب).
- جزء يفوت للتعمير ليكون رصيدا للبناء «الاقتصادي» قصد التخفيف من حدة السكن.

من السابق لأوانه أن نتحدث عن مشروع ما يزال في رحم الحكومة. وعادة ما يجهل الشعب كل شيء عن مشروعات الحكومة، ولو كانت مما يهم أساس اقتصاده كالأرض والفلاحة.

ولكنا - والمشروع تحت الدرس فيما نرجو - يجب أن نجهر بعملين ضروريين انطلاقا من شعار حزب الاستقلال:

أولهما: استرجاع كل الأراضي التي كانت للدولة، ومنها الأراضي المسترجعة من «المحظوظين» الذين لا يستثمرونها مباشرة، إما لأن الفلاحة ليست مهنتهم. وإما لأنهم من الغنى بحيث كانت هذه الأراضي لهم «خضرة فوق الطعام». استرجاع هذه الأراضي لا يعتبر ظلما لأحد. ولكنه رفع لظلم وقع على الفلاحين الذين انتزعت الأرض منهم في عهد الاستعمار، ورفع لظلم وقع على الدولة حينما أخذت منها الأرض ومنحت لمن لا يحرثها، وبالمجان أو شبه المجان. إذا استرجعت هذه الأراضي يمكن أن تدخل مع ما بقي من الأرض في حوزة «سوجيطا» و «سوديا» وتوزع على الفلاحين الحقيقيين الذين لا يملكون أرضا وفق دفتر تحملات منصف وسليم لاستثمارها من أجل التنمية الفلاحية وتجديد الفلاحة.

والصالح منها لإجراء التجارب الفلاحية يمكن أن يضاف الى الجزء الأول من المشروع الحكومي لتنمية البحث العلمي والتجارب العلمية.

أما الجزء الذي يخصص للسكن والتعمير فلابد أن تراعى فيه مصلحة التعمير، وإنشاء مدن جديدة تخفف العبء والاكتظاظ عن المدن الآهلة والتي لا تتحمل زيادة في الاكتظاظ.

نعود الى فكرة الشعار الاستقلالي لنؤكد أن الهدف من تطبيقه هو مواجهة حاجة المغرب الى التنمية الفلاحية وزيادة الانتاج من جهة، وتشغيل المواطنين في البادية والتخفيف من البطالة بينهم من جهة أخرى. ثم إرجاع ماهو من أملاك الشعب و«الأرض الفلاحية كلها أرض للشعب» للشعب، بدلا من مساهمتها في تكديس الحسابات البنكية للذين ليسوا في حاجة إليها ولا يستثمرونها لصالح الشعب.

هذا رأيي

محاكمة صدام

هل ستكون إدانة لعهده أو لعهد ما بعد صدام؟

• محمد بن صالح

■ بدأ قاضي التحقيق أمس التحقيق مع صدام حسين، ويقول رئيس الحكومة العراقي: إن في جعبته عشرات التهم التي تدين صدام حسين، ولعل العلاوي نسي انه كان عضوا في حزب صدام، وانه شارك فيما سيحاكم صدام من اجله.

لا يهم فالذي يحكم يحاكم الذي لا يحكم، ولو كان الفرق بينهما هو الحكم. واظن أن صدام لو بقي في الحكم لحاكم العلاوي بانه كان عميل مخابرات عدد كثير من الدول أوصلته «العمالة» الى رئاسة الحكومة العراقية في عهد الاحتلال الأمريكي.

بدأت محاكمة صدام. ونسأل: إذا كان من حق رئيس الحكومة الحالي أن يكون عنصر اتهام. وهو رئيس حكومة ؟ الا يكون ذلك خلطا بين السلطة التنفيذية والقضائية؟. يمكن أن يكون شاهدا أما متهما بصفته رئيس حكومة فما أظن. ولكن العراق في حالة استثناء، والقضاء فيه في حالة استثناء. والمحكمة محكمة عدل خاصة. والذي اعتقل صدام وقدمه للمحاكمة هو جيش احتلال. وهو الذي سيحرك القضاء.

ليحكم على صدام بأقسى وأقصى العقوبات. العقوبات التي يفرضها قانون وضع بعد التهمة والاعتقال، وبعد تدمير الدولة.

لايهم شخص صدام فآلاف العراقيين يموتون كل يوم برصاص جيش الاحتلال، أو بالسيارات المفخخة التي لايعلم أمر من «فخخها»؟ لايهم صدام. ولكن يهم التاريخ العراقي الذي تكتبه الحكومة الحالية بكل أجهزتها بما فيها جهاز «القضاء».

ويهم أيضا أن صدام. أو محاموه إن تمكنوا من الدفاع عنه. سيقفون أمام القاضي ليقول هو أو هم: ياسيادة القاضي. العراق كان دولة منظمة قائمة الذات، ثم حوصرت هذه الدولة برا وبحر وجوا وفرض عليها الا تاكل ولاتشرب حتى جاءت الأمم المتحدة ففرضت عليها «الوصاية» بأن تأخذ بترولها في مقابل تغذية بنيها بالخبز. وعاشت دولة العراق حوالي عشر سنوات تحت الارهاب وبالحرب والحصار بالجوع. ثم قررت دولتان كبريان محاربة العراق. وأعلنتا عليها الحرب ودمرت البلاد كلها واحتلت عاصمتها، وأعلنت حل دولتها وخلع رئيسها. فاطلقت اليد لفوضى النهب ثم القتل والاعتداء. واستمرت وضعية الفوضى القاتلة ضد الشعب العراقي 15 شهرا.

من كلف هاتين الدولتين بحرب بلادنا. العراق لم يؤذ دولة كبرى أو صغرى. لم يعلن الحرب على دولة أو شعب، لم يحرم أحدا من حقه في بتروله (سلعة استراتيجية) فكيف تحاربه دول لا حق لها في حربه.

يضيف صدام أو محاموه: إننا أمام القضاء العراقي، والمفروض أن القضاء العراقي يحاكم الذين اعتدوا على أرضه وسيادته ودولته وشعبه، الذين مكنوا لغول الإرهاب أن ينطلق ليطمس معالم الحضارة في بلادنا. المفروض ان يقف أمامكم من أعلنوا الحرب على دولتكم، من ناصبوا شعبكم العداء. المفروض أن تمثلوا العدالة التي ينطق بها رجل الشارع وهو يموت في سبيل كرامة بلاده واستقلالها وحريتها من جيش احتلال.

أنا صدام يمكن أن أحاكم أمام محكمة نابعة من الشعب. منظمة بالقانون، بصك اتهام لا يملى من واشنطن، بل يصدر من دستور العراق. لا أتهرب من العدالة، ولكني لا أخضع لحكم من خارج.

رقبتي بين يدي شعب العراق. إن شاء قطعها إن رأى في قطعها تنفيذا للعدالة وإحقاقا للحقيقة، اعتبر نفسي مازلت رئيسا للعراق، مادام من خلعني ليس هو شعب العراق.

لتقل العدالة الحقيقية كلمتها ليس أمام هذه المحكمة.

حياتي فداء للعراق.

بيان من عبد الكريم غلاب

■ خلفت استقالتي من حزب الاستقلال وإدارة جريدة العلم يوم 11 ـ 7 ـ 2004 أصداء عميقة في كل مؤسسات الحزب العليا: مجلس الرئاسة واللجنة التنفيذية.

وعند كثير من المناضلين والمناضلات الاستقلاليين في مختلف الأقاليم، وشغلت الصحافة المكتوبة والمشاهدة والمسموعة في المغرب وخارج المغرب تعليقات مهمة شغلت صفحات من هذه الصحف في الأيام السابقة.

وقد عقدت اللجنة التنفيذية للحزب اجتماعا استثنائيا برياسة الأخ عباس الفاسي الأمين العام، وبحضور بعض أعضاء مجلس الرئاسة. ناقشت فيه مناقشة عميقة وبكثير من المسؤولية والواقعية موضوع الاستقالة وانتهت اللجنة الى عدم قبولها قطعيا وباجماع الأعضاء، بعد أن شاركوا جميعهم في تقويم الحدث من الناحية الوطنية والاستقلالية وأثره في سير الحزب باعتبار العضو المستقيل عمدة وعنصرا فاعلا في حزب الاستقلال منذ عقود.

وقد أصدرت اللجنة التنفيذية بلاغا بهذا المضمون بعد الاجتماع.

وقررت اللجنة بكامل أعضائها زيارة السيد غلاب في منزله عشية يوم الخميس 15 يوليو 2004. وأثناء هذه الزيارة تحدث معظم الإخوة الأعضاء عن مشاعرهم البليغة إزاء هذه الاستقالة، وتقديرهم الكامل للجهود التي بذلها غلاب في حزب يعتبره قطعة منه.

وأكد الأخ الأمين العام لغلاب بعد رغبة اللجنة التنفيذية في التراجع عن استقالته اتفاقه مع بعض الحيثيات التي سببت هذا الحدث.

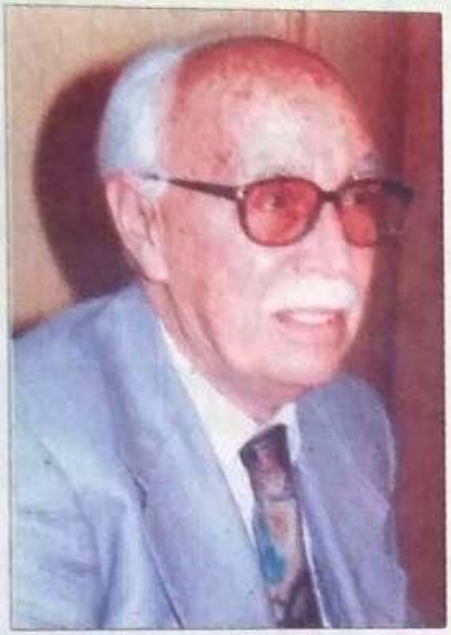

وإزاء الحاح الإخوة أعضاء اللجنة التنفيذية في الاجتماع الذي دام نحو ساعتين، وبعد أن أكد غلاب مواقفه الاستقلالية التي لايقبل فيها هوادة ولاتنازلا، وإزاء الجو المشحون بالمحافظة على المصلحة الوطنية وصيانة وحدة الحزب، وتماسك صفوفه، واستجابة للرغبات الملحة التي عبر عنها أعضاء مجلس الرئاسة الذين زار بعضهم منزل غلاب عدة مرات، أوزارهم في منازلهم، وللاتصالات الكثيرة التي تلقاها من عدد من المناضلين الأعضاء في الحزب، قرر عبدالكريم غلاب التنازل عن استقالته من الحزب فقط، وعزمه على مواصلة نشاطه الاستقلالي في اللجنة التنفيذية وكل مؤسسات الحزب في جو من الصفاء والمسؤولية، والرغبة في تلافي كل عوامل الاحباط.

المدير المسؤول عبد الكريم غلاب السنة : 58 العدد : 19773 الإثنين 24 جمادى الأولى 1425 الموافق 12

بكثير من الألم والأسف والحزن ننشر هذا الخبر

الأستاذ عبد الكريم غلاب يستقيل من العلم ومن حزب الاستقلال

اللجنة التنفيذية للحزب تعقد اليوم اجتماعاً استثنائيا

في اجتماع لأسرة «العلم»:

الأستاذ غلاب ينوه بأسرة التحرير ويؤكد احترامه لجهودها وتقديره لتضحياتها

تلقينا في أسرة جريدة "العلم" بألم كبير نازلة استقالة الأستاذ عبد الكريم غلاب من إدارة "العلم" ومن حزب الاستقلال. وإذ ننشر خبر الاستقالة كما أوردته وكالة المغرب العربي للأنباء، نؤكد اعتزازنا في أسرة "العلم" وتضامننا المطلق مع الأستاذ غلاب الذي ظل منذ خمسين سنة صمير صحيفتنا المناضلة وإحدى أسرتها والأسرة الصحفية الوطنية في بلادنا في الدفاع عن حرية الوطن وقيم الديمقراطية والعدالة بقلم لا يلين، وروح مقاومة لا تعرف التراجع.

وعلمنا أن اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال ستعقد اجتماعاً استثنائياً يومه الاثنين قصد التداول في هذه الواقعة.

وفي اجتماع لهيئة تحرير جريدة "العلم" أمس الأحد مع الأستاذ غلاب، أكدت له رفضها هذه الاستقالة وتمسكها الدائم به قائداً وإعلاماً لقيم لا تبلى.

وينوه الأستاذ غلاب، في هذا الاجتماع بأسرة التحرير مؤكداً احترامه الكبير لجهودها واعتزازه بتضحياتها، وحضها على مواصلة النضال في النهج الذي أكسبها احترام المغاربة وحبهم منذ أزيد من نصف قرن.

وفيما يلي نص خبر الاستقالة الذي بثته وكالة المغرب العربي للأنباء:

■ الرباط ١١/ الوضوح أعلن السيد عبد الكريم غلاب اليوم استقالته من إدارة جريدة «العلم» ومن حزب الاستقلال.

وأوضح السيد غلاب في بيان توصلت وكالة المغرب العربي للأنباء بنسخة منه أن استقالته من الجريدة تأتي احتجاجا على نشر الصحيفة لأنباء غير أخلاقي ولا إشاري، مشيرا بالخصوص الى مراسلة من الدار البيضاء بعنوان «بيضة العقورة تتساول الإفطار من عبد الرزاق الفيلالي» نشرتها الجريدة في عمر صفحتها يوم السبت دون اطلاعه عليها قبل النشر ودون استشارته في نشرها.

وأضاف أن الجريدة حذفت كلمة، كتبها في عمر صفحة عدد الأحد ١١ يوليوز الحالي بعنوان «براءة» نفيا فيها من مسؤوليتها ما نشر في عدد يوم السبت ١٠ يوليوز من أخذ جانب صراع بطوه بين ثلاثة من الناس هم السليماني والعقورة وعبد الرزاق الفيلالي، لأن «الأمر برئ يدي القضاء».

وقال السيد غلاب في هذا الصدد: «وحيث إنني غير قادر أن أعبر توجهاتي الإداري والتوابت التي تعلمتها في حزب الاستقلال منذ انتميت إليه وسني ١٦ سنة وحيث إني لا أرضى لجريدة أعبرها أن تنسحب في طريق الانهيار، فإنني أقدم استقالتي من إدارة جريدة العلم متركها لا راضيا واسطا لا مغتبطا».

وعزا السيد غلاب استقالته من حزب الاستقلال الى «افتراق الأفكار التي تعملت في ضميري طيلة المدة التي قضيتها في الحزب» والتوابت التي عشت عليها، معتبرا أن تجاوزه «الفكري والوطني والسياسي لم يعد يتسجم مع ما يحدث».

وقال في هذا الصدد «إن الشعب وأنا غير راض، غير مطمئن، غير مستريح الضمير انه آن الأوان لإستقيل من هذا الحزب».

وتضمنت رسالة الاستقالة التنويه بهيئة تحرير العلم التي قال في حقها: «لا يسعني إلا أن أؤكد لأصدقائي وزملائي الذين عملوا معي عن عرفاني واحترامي لجهودهم وتقديري للتضحية الدائمة والمعنوية التي يمنحونها شاكرا أنهم تعاونوا معي ومتمنيا لهم مزيد النجاح في مهنة المتاعب التي اختاروها».

■ الرباط ١١/ الوضوح أعلن السيد عبد الكريم غلاب اليوم استقالته من إدارة جريدة «العلم» ومن حزب الاستقلال.

وأوضح السيد غلاب في بيان توصلت وكالة المغرب العربي للأنباء بنسخة منه أن استقالته من الجريدة تأتي احتجاجا على نشر الصحيفة لأنباء غير أخلاقي ولا إشاري، مشيرا بالخصوص الى مراسلة من الدار البيضاء بعنوان «بيضة العقورة تتساول الإفطار من عبد الرزاق الفيلالي» نشرتها الجريدة في عمر صفحتها يوم السبت دون اطلاعه عليها قبل النشر ودون استشارته في نشرها.

وأضاف أن الجريدة حذفت كلمة، كتبها في عمر صفحة عدد الأحد ١١ يوليوز الحالي بعنوان «براءة» نفيا فيها من مسؤوليتها ما نشر في عدد يوم السبت ١٠ يوليوز من أخذ جانب صراع بطوه بين ثلاثة من الناس هم السليماني والعقورة وعبد الرزاق الفيلالي، لأن «الأمر برئ يدي القضاء».

وقال السيد غلاب في هذا الصدد: «وحيث إنني غير قادر أن أعبر توجهاتي الإداري والتوابت التي تعلمتها في حزب الاستقلال منذ انتميت إليه وسني ١٦ سنة وحيث إني لا أرضى لجريدة أعبرها أن تنسحب في طريق الانهيار، فإنني أقدم استقالتي من إدارة جريدة العلم متركها لا راضيا واسطا لا مغتبطا».

وعزا السيد غلاب استقالته من حزب الاستقلال الى «افتراق الأفكار التي تعملت في ضميري طيلة المدة التي قضيتها في الحزب» والتوابت التي عشت عليها، معتبرا أن تجاوزه «الفكري والوطني والسياسي لم يعد يتسجم مع ما يحدث».

وقال في هذا الصدد «إن الشعب وأنا غير راض، غير مطمئن، غير مستريح الضمير انه آن الأوان لإستقيل من هذا الحزب».

وتضمنت رسالة الاستقالة التنويه بهيئة تحرير العلم التي قال في حقها: «لا يسعني إلا أن أؤكد لأصدقائي وزملائي الذين عملوا معي عن عرفاني واحترامي لجهودهم وتقديري للتضحية الدائمة والمعنوية التي يمنحونها شاكرا أنهم تعاونوا معي ومتمنيا لهم مزيد النجاح في مهنة المتاعب التي اختاروها».

بيان للرأي العام بتطوان حول شركة أماندس • ص11

غرق 8 أشخاص في قارب موت

توقيف أكثر من 3 آلاف مرشح للهجرة

■ تتلف الهجرة السرية عبر قوارب الموت المزيد من المآسي.

وتواصل السلطات توقيف العديد من المرشحين للهجرة وبلغ عدد الذين تم إيقافهم في جنوب المغرب وفي الشمال المغربية أكثر من ٣ آلاف منذ بداية السنة الجارية وقد تلقى ٤ مرشحين للهجرة السرية من أصول اسيوية مصرعهم يوم السبت وتم إنقاذ ١٧ آخرين في حادث غرق قارب بالقرب من الشواطئ الإسبانية بمنطقة سيدي الغازي الواقعة على بعد ٢٢ كلم شمال مدينة بوجدور.

وأفاد بلاغ لولاية جهة العيون بوجدور الساقية الحمراء توصلت وكالة المغرب العربي للأنباء بنسخة منه بأنه تم إنقاذ الأشخاص التسعة عشر من مجموع ركاب القارب البالغ عددهم ٢٢ من الدوريات المختلفة بحراسة الشواطىء في إطار مخطط العمل الذي وضع على الصعيد الجهوي.

وأضاف المصدر نفسه انه تم نقل الأشخاص الناجين فور إنقاذهم الى المستشفى الإقليمي بوجدور بينما نقلت جثث الأشخاص المتوفين في هذا الحادث الى المستشفى الإقليمي بالعيون.

البقية ..... ص 11

بلاغ اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال

استيناف الأستاذ غلاب لموقعه في قيادة الحزب

■ كما كان مقررا انتقلت اللجنة التنفيذية لحزب الاستقلال إلى منزل الأستاذ الأخ عبد الكريم غلاب مساء الخميس 15 يوليو 2004 حيث قام الأخ الأمين العام الأستاذ عباس الفاسي بإبلاغ الأخ غلاب فحوى بلاغ اللجنة التنفيذية الرافض لاستقالته من الحزب.

وجرى تبادل الحديث في جو تكتنفه مشاعر الأخوة والمسؤولية واستحضار الروح الوطنية التي جمعت دائما أفراد الأسرة الاستقلالية.

وعبر الإخوة أعضاء اللجنة التنفيذية عن استحالة مجرد تصور الاستقالة التي هي بمثابة استقالة الأستاذ غلاب من نفسه ذاتها. وأضافوا انه لم يسبق في تاريخ الحزب أن وقع شعور بالألم مثل ما حدث بمناسبة هذه الاستقالة. ولم يتوانوا عن القول إن الإخوة أعضاء مجلس الرئاسة هم بالنسبة للاستقلاليين المرجع الذي طوقهم المؤتمر بمسؤولية متميزة.

وأكد الأخ الأمين العام مجددا تقدير الحزب لمكانة الأستاذ غلاب، مشيرا إلى أن الحزب بموقعه القوي مستهدف من بعض الجهات والمنابر التي تسعى للاساءة إليه.

واختتم الاجتماع في جو من التأثر بإعلان الأخ الأستاذ غلاب استيناف العمل في موقعه من قيادة الحزب ودعا بالتوفيق لقيادة الحزب في مهامها معتزا بنشاط الحزب وإشعاعه في أداء رسالته الوطنية.

عمل الحزب من أجل الديمقراطية

اتى الاستقلال سنة 1955 وفي اذهان الكثيرين انه سيحقق كل اهدافه - والاساسية منها على الاخص - دون صعوبة تذكر ، لان هذه المبادئ والاهداف لم تكن محل خلاف ، ولان المشرفين على الحكم انذاك معظمهم من الوطنيين . ولكن حزب الاستقلال لم يفته ان يؤكد مطالبة الشعب بالديمقراطية واخذ يضغط من اجل التمهيد لاقرار حكم ديمقراطي في البلاد . لكن ماذا حدث ؟

• لقد استعيض عن النظام الديمقراطي الحقيقي بمجلس استشاري معين روعي فيه تمثيل ما يسمى بالخريطة السياسية والاجتماعية. وكانت مهمته مناقشة ميزانية الدولة وتقديم اسئلة الى الوزراء لاستيضاح ما يرغب الاعضاء في استيضاحه عن السياسة الداخلية والخارجية . ولم يؤد هذا المجلس دوره الديمقراطي لانه لم يكن منتخبا ولا ممثلا للشعب .

والمدة التي عاش فيها المجلس اي الى سنة 1959 انصرف فيها الحزب والشعب عن المطالبة بديمقراطية حقيقية وبمجلس نيابي منتخب .

•• ولكن لم تكن تنتهي هذه الفترة حتى بدا الحزب يطالب من جديد بوضع نظام ديمقراطي وبتحضير انتخابات حرة . وكانت الفكرة السائدة في الحزب ان الديمقراطية يجب ان تكون من القاعدة وان انتخابات المجالس البلدية والقروية يجب ان تسبق انتخاب المجلس الوطني . وقد بدا الاتجاه الحكومي يسير في هذه الخطة فوضع قانون الانتخاب واجريت انتخابات المجالس في ظروف الانفصال وبدات معركة من اجل الديمقراطية الحق .

ليس سرا ان الذي قام بهذه المعركة هو حزب الاستقلال . اما الذين كانوا يعارضونه فقد كانوا في غفلة عن الديمقراطية لانهم جميعا يعرفون انها في غير صالحهم اذ ان انصارهم في الشعب جد قليلين ، وكانوا في غير حاجة الى ديمقراطية توصلهم للحكم على احسن فروضها وقد وصلوه بدون ديمقراطية فلم التعب من اجل الديمقراطية .

الحملة التي قام بها حزب الاستقلال انتجت عدة نتائج :

اولاها : ان الملك محمد الخامس رحمه الله اعلن صراحة ان الحكم يجب ان ينظم على اساس دستوري نيابي . ووعد بوضع الدستور واجراء انتخابات نيابية. واكد هذا الوعد في كثير من المناسبات .

•• وقدمت بعد هذا خلافات بزنطية نظرية قوامها هل يضع الدستور مجلس تاسيسي منتخب او يضعه مجلس يمثل الاتجاهات الهامة في البلاد ولو لم يكن منتخبا . ولاشك ان هذه المعركة النظرية اخرت تنفيذ الوعد الذي قطعه على نفسه محمد الخامس .

وثانية النتائج تاسيس مجلس الدستور على غرار المجلس الاستشاري ، وكان معينا مهمته وضع دستور للبلاد . كان من الممكن ان ينجح المجلس لو تضافرت جهود الوطنيين لوضع الحكم امام الامر الواقع بانتهاز فرصة الوعد الذي قطعه محمد الخامس على نفسه . ولكن العكس هو الذي حدث . ولم يكد المجلس مجتمع لينتخب مكتبه حتى خرج احد الاعضاء احتجاجا على انتخاب المجلس للرئيس علال الفاسي رئيسا له ولم يتحرك المجلس بعد ذلك .

•• لحت الحاح حزب الاستقلال ويضغط من خيبة الامل التي حدثت في مجلس الدستور اعلن محمد الخامس قبل وفاته بقليل - وهذه النتيجة الثالثة - انه لن تمر سنة 1962 حتى يصبح للبلاد دستور ينظم الحكم ويوزع المسؤولية ويشرك الشعب في ادارة شؤونه . ولم يمهل القدر محمدا الخامس لينفذ هذا الوعد فقد وافاه الاجل ليتحمل خلفه جلالة الحسن الثاني مسؤولية تنظيم الحكم على اسس جديدة في المغرب .

استقلالي

البقية على الصفحة 2 ع• 4

عمل الحزب من أجل الديمقراطية

بقية ما في الصفحة 1

• النتيجه الرابعة التي نتجت عن حملة الحزب من اجل الديمقراطية مشاركة الحزب في الحكومة كانت مشروطه بان تقوم هذه الحكومة على اساس دستوري باعلان قانون اساسي موقت يحدد اهداف الحكم فيضع المسؤولية في يد الحكومة ويعطي للشعب حق السيادة وذلك ريثما يوضع دستور ديمقراطي في الاجل الذي قطع به الوعد على نفسه محمد الخامس • وقد وضع القانون الاساسي وصدر به ظهير عند تاليف الحكومة.

• والنتيجة الخامسة ان الدستور وضع بالفعل في سنة 1962 وصدر في نوفمبر من نفس السنة ليبدا العمل به بعد الانتخابات التشريعية في السنة التي بعدها •

• والانحراف الاكبر الذي حدث في الديمقراطية م يات من الدستور نفسه وانما اتى من الانتخابات التي جهت غير مصالح الشعب فزيفت فيها ارادته طلعت نا برلمان ومجالس جماعية تعرفون وضعها جميعا ومستواها • كيفما كان الدستور لا يمكن ان باتي ثمرته اذا لم يستند في تنفيذه على مؤسسات شعبيه سليمه وهذا ما لم يحدث في انتخابات سنة 1963. الكل يعرف الدور الذي قام به الحزب لمواجهة التزييف في الانتخابات والتضحيات الكبيرة التي قدمها اعضاء الحزب وبالاخص في البادية لمواجهة العنف الذي استخدمته السلطة لتزوير الانتخابات ، ومع ذلك اتت النتائج مخيبة الآمال بالنسبة للسلطة لانها كانت تطمع في ان يحقق التزييف كل اهدافها ، ومخيبة لآمال الوطنيين لانهم كانوا يريدون مؤسسات ديمقراطية سليمة تساعد على خدمة البلادومقاومة التخلف الاقتصادي والاجتماعي فيها •

ورغم كل هذا فقد حاول الحزب في الفترة التي قضاها البرلمان حيا ان يمارس الرقابة على الحكم ممارسة ديمقراطية فقدم دراسات عن الميزانيتين اللتين صدرتا عن البرلمان وقدم دراسة وافية عن التخطيط الثلاثي ، كل ذلك مشفوع بتوجيهات وبرامج اصلاحية، وقدم مشاريع مهمة لاصلاح التعليم ومغربة القضاء وتعريبه ومقاومة الفساد وانتشار الخمر • ومشروع الاصلاح الزراعي الذي صادق عليه مجلس النواب وهو يلفظ نفسه الاخير وغيرها من المشاريع المهمة .

وتشهد محاضر جلسات مجلس النواب ان الممارسة الديمقراطية التي قام بها حزب الاستقلال كانت في مستوى المطالبة التي ناضل سنوات طويلة من اجلها ، وقد استغل كل فرصة ممكنة ليقدم مشروعا او يصحح وضعا او يعارض خطة منحرفة كانت نهاية التجربة الديمقراطية هي ما تعرفون •

ولكن حزب الاستقلال لم ينهزم وانما قويت ارادته ليطالب بشيئين اثنين :

اولهما : الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية التي ضمنها بيانه الثاني عن «التعادلية» •

وثانيهما : المشروعية اي اقرار نظام ديمقراطي سليم •

ان التعادلية تؤكد ان الحزب لا يهدف من وراء الديمقراطية تنظيما شكليا للحكم ، ولكنه يهدف تنظيما عميقا للمجتمع على اساس عادل تعطي فيه لكل الطبقات حقوقها وتستعاد فيه كل الحقوق والثروات المغتصبة ويبني فيه المجتمع على اسس متعادلة لا طبقية فيها ولا اقطاع •

ان الحزب يعتقد انه عن طريق الديمقراطية السياسية سيحقق التعادلية اي الديمقراطية الاقتصادية والاجتماعية وهو لن يحيد الحزب عن هذا الطريق .

محفوظ — غلاب — منيف — العروي — الفيطاني — زفزاف — صنع الله ابراهيم

هل لدينا مدينة روائية عربية؟

عبدالفتاح الحجمري

1 ــ في المستهل

لو جاز لي ان اقترح عنوانا اخر لهذه الدراسة لوسمته بـ: «مدن خفية او البحث عن مدينة روائية عربية». ذلك ان الفرضية التي اود تقديمها للاختبار تنطلق من تاملات نظرية لعلاقة المدينة بالرواية، اي علاقة فضاء بفضاء، في ضوء ما للمدينة من خصوصية مكانية وعمرانية تتحكم فيها رواسب إنسانية عامة، ومفتوحة على قيم المعيش والمحلوم به والصور المعبرة عن ترسباتها في الوجدان والكتابة.

يبدو لي ان الرواية لاتصلح الا للكتابة عن المدينة، اي عن الشتات والانتظار. لايتعلق الامر في هذا البحث بمحاولة فهم اشكال حضور المدينة كامكنة ضمن النص الروائي من حيث هي وضع ملهم في بناء المشاهد وتنويع مراتبها وطبقاتها الدلالية، وإن كان هذا النوع من الأبحاث ضروريا واساسيا، لكنني اود ـ بالمقابل ـ ان يعرفنا هذا التحليل ببعض المواقف التي تسكن وجدان السراد والشخصيات الروائية في علاقتها بفضاء المدينة، لا بوصفه فضاء يمكن رسم حدوده الطبوغرافية كما هي في الواقع الفعلي وإنما بوصفه عالما من القيم والافكار التي تمكن من الحديث عن «سرد للمدينة» ممتلك لأشكال معينة من الكتابة والتخييل.

من هذا المنظور، يمكن إنجاز نمذجة نصية وتاريخيه لعلاقة الرواية بالمدينة بحسب تشخيصاتها الحكائية منذ القرن التاسع عشر وصعدا، وفي اقتران بسؤال النهضة الكاشف عن تحولات ثقافية واجتماعية وسياسية مغربيا ومشرقا وإن بدرجات متفاوتة من قطر إلى آخر. وهذا يعني ان موقع التخييل الروائي ـ بخصوص هذه العلاقة التي تربط المدينة بالرواية ـ يحمل في ثناياه «رؤية نقدية» اساسها نصوص حاملة لملمح الابتكار وتجاوز الواقعية الفجة والجامدة. ولذلك، فإن قيمة الأدب الروائي الراصد لأحوال المدينة العربية ليست واحدة ومتماثلة في جميع المجتمعات العربية رغم العديد من القواسم المشتركة تاريخيا واجتماعيا وسياسيا. وعليه، فإن مواقع المدينة متفاوتة ومن الصعب تعميمها، على ان معيار النسبي يقترن بمختلف القيم الفكرية وانماط الوعي التي يعبر عنها الروائيون انفسهم بصدد الحداثة والديموقراطية والحرية.

إن سؤال الأدب من سؤال المجتمع.

من هنا اهمية التفكير في جوهر الأسئلة التي يطرحها علينا الخطاب الروائي العربي اعتباراً لهذه الحقبة الاستثنائية من تاريخنا وراهننا المطبوع بالعديد من الاحداث والهزائم، قاسية في اغلبها وباغلة على الكثير من الأسى، يبدو معها مجتمعنا العربي سجين يقينيات ماض ملي بالانكسارات، وحاضر لايولد إلا الاحباط ومستقبل بضعه المجهول والعدم. لا احد ينكر الأزمة التي تعتري مجتمعنا العربي امام انتشار الامية وتضييق مجال الحريات، وانتهاك حقوق الإنسان وبروز خطاب التعصب وانحصار خطاب التعقيل.. ليس هذا الكلام حشوا ولا إطنابا، بل إن إيراده في هذا المستهل ياتي بغاية بيان كيفية تفكير الرواية في المدينة بوصفها «صورة للمجتمع» رغم كونها قائمة في الواقع والتاريخ، إلا انها تفتح علاقة الرواية بالمدينة على عالم اكثر رحابة يربط الرواية بالحياة، اي بوجود محتمل يهدف «التصالح» مع الواقع وتوفير «قيم نبيلة» ومفتقدة.

2 ــ فضائية أدبية: تحديدات أولية

سعت مختلف نظريات السرد الأدبي إلى اقتراح العديد من التصورات لأجل صياغة نظرية عامة للفضاء الأدبي تراعي اشكال النصوص ودلالاتها سواء تعلق الأمر بالسرديات الشكلانية او البنيوية او السيميائيات..

«لاوجود لنظرية حول الفضاء الأدبي، بل هناك فقط اجتهادات متفرقة» (1). هذا ما اعلنه هنري ميتران في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي عند رصده لمختلف الأبنية النصية للفضاء ووظائفها الحكائية. لكن انفتاح نظريات السرد الأدبي على انتاجات معرفية جديدة ربما سمح اليوم بإمكان تصورنظرية حول الفضاء الأدبي تستفيد من علوم اللغة وتحليل الخطاب والهندسة والسيميولوجيا.. ومن مجمل الممارسات التي تشترط الإطار الاجتماعي للفضاء الأدبي. ولذلك، ينبغي أن نأخذ بالاعتبار تعدد المعاني التي تؤطر نظرية الفضاء الأدبي وما توفره من استعارات تغدو إحدى السمات المميزة لحقيقة الفضاء ذاته بما هو معنى تعكسه الصور والإدراكات والتمثلات (2).

ومن البين أن تساؤلا من قبيل: هل توجد لدينا مدينة روائية عربية؟ يطرح مشاكل التصنيفات النصية والتقسيمات الاجناسية: من «فضائية اللغة» بوصفها مجالا للتعبير عن العلاقات الخاصة بالأفعال الكلامية للنص المكتوب، مرورا ب «فضائية الكتابة» والتي يمكن اعتبارها رمزا لفضائية أعمق للغة، وصولا إلى «فضائية الأسلوب» الناظم لمجمل المكونات النصية (3). من هنا، تروم الفضائية الأدبية رسم الحدود بين العوالم القائمة والممكنة، مثلما تروم الكشف عن المقتضى الذي بموجبه يندمج الفضاء ـ سواء أكان واقعيا أو خياليا ـ بالشخصيات والأحداث وتطور الزمن (4) وهذا ما يبرر قراءة الفضائية الأدبية في ضوء التجسيرات القائمة بين الأشكال والمضامين الحكائية. ان الفضاء في الرواية فضلا عن كونه إيرازا لساحات عمومية وازقة ومنازل، هو كذلك مجموع الآلام والأفراح، ومجمع للأحلام الطموحة للشخصيات (5).

3 ــ ما معنى المدينة.. في الرواية؟

المدينة خلق للعالم قبل أن تكون تصويرا له. إنها تخيل، وما ينقله الروائي هو فكرة عن المدينة وليس المدينة ذاتها. وهذا يعني أن المدينة الروائية هي مدينة خيالية.. من هنا يمكن الحديث عن ذاكرة للمدن تستدعي مدنا خاصة بالمؤلفين (6) فتكون لنجيب محفوظ قاهرته، وليوسف القعيد وابراهيم اصلان وجمال الغيطاني قاهرتهم، مثلما يكون لعبدالكريم غلاب فاسه، وللطاهر بنجلون واحمد المديني ومحمد برادة وعز الدين التازي فاسهم الخاصة. ان تشييد مدينة روائية يتاسس على مدينة واقعية عادة ما اغرت النوع الأدبي وحقوقه الخاصة بإعادة الإنتاج (7)، مع مراعاة احوال الأفراد والمجتمعات ومقتضيات التاريخ والفكر والانتروبولوجيا (8)، مهما يكن من امر، تبدو المدينة الروائية عالما من الكلام، وهي بهذا قريبة من الشخصية الروائية: إنها فضاء تبتدعه الكلمات (9).

4 ــ وهذه صور من سرد المدينة

يبدو من الصعب اقتراح نظرية للفضاء الأدبي خارج حدود التحليل النصي والذي يمدنا بمجمل التداعيات الفكرية والثقافية لاشتغال الفضاء في النص بصرف النظر عن اية مماثلة مع الواقع كما المحت سالفا.

تحفل الرواية العربية بالعديد من النصوص التي اتخذت من فضاء المدينة مكونا مركزيا في صياغة الأحداث وتاليف العوالم، بل إن اسماء المدن تصدرت عناوينها كتلك لغاية بناء متخيل روائي يعكس مختلف الرؤى والملامح التي تشخصها المدينة باحيائها وازقتها وحواريها، واحلام ساكنيها المهمشين والمبسورين وحكاياتهم العجيبة والغريبة والمثيلة بالياس حينا، والتالف مع المكان حينا ثانيا، وفضح الخراب العمراني والنفسي الذي تسببه عبثية الحروب ووحشيتها حينا ثالثا.

روايات عربية عديدة من سوريا ومصر والعراق والجزائر وفلسطين ولبنان ابدعت في تحويل زمن الرواية الى لحظة حكائية ذات جراة على مكاشفة مصير الفرد والجماعة حين تعيقه سلطة قاهرة وعمران خانق وعشوائي، من هنا إمكانية إبراز صور لسرد المدينة بوصفها عالما:

1. مليئا بالتوتر: بحيث تفصح تعقيدات الحياة اليومية عن طابع الطوية في علاقة الشخصيات الروائية بالمدينة، وإن بدت علاقة مجلية لتاريخ الانا مصيره تفكير داخلي وتامل جواني: (مدينة براقش) لأحمد المديني، (عمارة يعقوبيان) لعلاء الأسواني.

2. مثقلا بالمهمش: تظهر نصوص من الرواية العربية ميلها نحو تشخيص عوالم المهمشين، تبدو علاقة الشخصيات بالمدينة حادة ومتوترة تحمل اثر الاحلام المنكسرة او المؤجلة: (الرصافة وجدران) لمحمد زفزاف، (مالك الحزين)

هل لدينا مدينة روائية عربية؟

طايع حرة

لابراهيم أصلان، (وكالة عطية) لخيري شلبي..

3 - راصدا للتحول: ذلك ان علاقة الشخصية بالمدينة يمكن ان يحكمها وعي بقيم جديدة تسود بدل أخرى تتوارى. والعلاقة هنا تعادل «رؤية نقدية» أساسها ازمة اجتماعية او فكرية: (القاهرة الجديدة) لنجيب محفوظ (الشراع والعاصفة) لحنا مينة، (شرق المتوسط) لعبدالرحمان منيف..

4 - مجليا للسلطة: تجسد نصوص من الرواية العربية حقبا عنيفة من التاريخ الاجتماعي والسياسي العربي ولدت الرغبة لدى الشخصيات الروائية في التحرر من ضغط السلطة وبؤس حاضر مفجع: (عو) لابراهيم نصر الله، (سمر الليالي) لنبيل سليمان، (تلك الرائحة) لصنع الله ابراهيم..

5 - تعبيرا عن السقوط: حين تقدم الرواية العربية وصفا دقيقا لانهيار العديد من المدن من جراء حروب أهلية او اعتداء أجنبي. وتحمل المدينة في هذه الروايات اما صورة هوية مفتقدة، أو صورة فضاء لتعرية أمام اوهام الوطن (المخطوطة الشرقية) لواسيني الاعرج (ثلاثية غرناطة) لرضوى عاشور، (الوجوه البيضاء) لإلياس خوري..

5 - سرد المدينة في رواية (الفريق) (10) لعبدالله العروي

تعمدنا الفقرات المثبتة فوقه بإمكانية بحث سرد المدينة وخصوصيته الحكائية، واقتراح تصورات خاصة بالمدينة كأفق للحدث الروائي وكموقف فكري يبني في المحصلة النهائية رؤية وجودية ذات ابعاد اجتماعية وسياسية وثقافية. من هذه الزاوية، لاتكتسب صورة المدينة في الرواية دلالة أحادية، أي أنها لاتكتسب تعريفا نموذجيا يمكن استخلاصه من مقومات النوع الأدبي، او مادة التأليف الروائي، او من تقنيات السرد المتنوعة والمتعددة.

في الفصل الرابع من كتابه (الإيديولوجية العربية المعاصرة): «العرب والتعبير عن الذات» يعالج عبدالله العروي إشكالية الصيغ التعبيرية واصلا تساؤله: ماهو الشيء الروائي في مجتمعاتنا؟ بمسلمة اساسية حاملة لتصوره للرواية بوصفها بنية كلية وشاملة وموضوعية او ذاتية، تستعير معيارها من بنية المجتمع، وتفسح مكانا تتعايش فيه الأنواع والأساليب المختلفة، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة جدا. وحين نمعن النظر في هذا التصور، سنلاحظ ان عبدالله العروي ظل فيما كتبه من روايات باحثا عن تلك الصيغة الكلية والتي تجعل من المدينة الكبيرة المسرح الضروري للرواية الكبيرة، لأنها - أي المدينة الكبيرة - تجمع في حيز محدود، المركز والأطراف، الإنسان وسوابقه، العالم المنجز ورسومه الأولية والعرضية (11).

سنأخذ في هذا التحليل من رواية (الفريق) لعبد الله العروي مدار مقاربة واختبار:

المدينة في رواية (الفريق) مدينتان: مدينة خيالية واخرى واقعية. علينا ان نحتاط عند رسم الحدود والمعالم بين المدينتين. فالتمييز هنا إجرائي ومن اجل التوضيح. ذلك: تبدو (الصويقية) في الرواية مدينة خيالية ذات ظلال واقعية، وتبدو (الدارالبيضاء) أو (الرباط) مدينتين واقعيتين بأبعاد خيالية. وهذا يعني ان سرد المدينة - في الخيارين معا - يفتح النص على محتمل حكائي تسعى من خلاله شخصيات الرواية - باختلاف مواقعها وتنوع مساراتها الحياتية - التعبير عما يسكن وجداتها من احاسيس ترصد أحوال الأقدار التي تشدها الى هذه المدينة او تلك. ويقيم الأفق الحكائي للرواية جسورا بين الكائن والممكن، بين الرغبة المشتهاة والقدرية التي تحياها بدون اوهام من خلال:

1 - الهجران والإحساس بالوحدانية:

«شعيب ابن الصديقية الوفي غادرته زوجته بدون سبب ظاهر. كان يحبها في صمت ولا يستحضر عبارات الأفلام المصرية، فظنت انه لايفهم لهجة العصر وتركته وحيدا يناجي ربه في المدينة العتيقة. ثم جاءه الخبر ان زوجته الفارة حامل، وانها في حيرة من امرها، فكتب لها على التو ليذكرها انها حرة». إن ارادت احتفظت بالمولود وتحمل هو المصاريف، وإن ارادت أن تتحرر تماما ساعدها على ماتريد. اختارت الزوجة الحل الثاني إذ كانت لها مطامع. وهكذا ذهب شعيب وامه الى البيضاء وبحثا طويلا في حي من الأحياء الجديدة حيث لاتعرف الأزقة إلا بالأرقام (الرواية: ص 8).

لسرد المدينة افق حكائي آخر للتعبير عن مقاومة الفردانية. يقول بنعيسى الخلوقي: «لن يمر وقت طويل حتى يكون الفرد قد انسلخ عن فردانيته المستوردة، في المدن وفي القرى، فلا يخاف عليه من الياس والغيظ اللذين يدفعان الناس دفعا الى التمرد والإجرام (الرواية ص 93).

قد لاتكون هذه الصورة المركبة كافية للتدليل على الخصوصية النصية والحكائية لسرد المدينة، إلا ان رواية (الفريق) تسعى الى إعطاء (الصديقية) حاضرا اجتماعيا لايفصل مصير الشخصيات عن مصير المدينة ذاتها سواء في إدراكها لحاضرها او حدسها للمستقبل. «الصديقية مدينة هادئة، سكانها فقراء، لكنهم سعداء. الايام تتابع متماثلة. الابن يشبه اباه، والبنت تشبه امها، والنهر هو النهر والولي هو الولي...» (الرواية: ص 94).

«(لكنها) الآن مدينة تحيا بحياة جماعية غير حياة سكان الأفراد، لها قلب وجوارح» (الرواية 161).

يقوم التشييد السردي للمدينة في هذه الرواية على الاستغراق الذاتي، ويظل مسكونا بمعرفة الملتبس والمبهم في علاقة الكائن بالمدينة، لانها علاقة تفيد البحث عن هوية بعد نكبة او حظ عاثر، فتغدو المدينة موازية لتجربة انتماء وانتساب تمكن من التكيف مع ممكنات الوجود، وتخطي الضياع والفنوط. وهذا ما يعبر عنه حوار عميق بين علي نور وخميطة:

«- انا ابن البيضاء اعرف القسم الغربي منها دربا دربا واحيانا دارا دارا.

- اولست من الصديقية؟

فهقه:

- انا صديقي بيضاوي، كما انت صديقية طنجاوية جنسيتنا الصغيرة كالكبيرة لاتضيع (الرواية: ص 137)».

هكذا، يشكل سرد المدينة في الرواية صورة نووية لايمكن لعالم مفارق كل شيء فيه اصبح له طعم «الشك والتردد» والغربة والانكسار. إنه حالة وجودية ساكنة، حنينها الى الماضي مشحون بالحسرة، وانتماؤها الى الحاضر مليء بالمرارة، وتفكيرها في المستقبل لايعد بأي امل.

فهل من قبيل المصادفة ان نقرأ في نهاية الرواية هذه الفقرة المعبرة:

«سجنا انفسنا في نطاق ضيق، لانتجاوز اسوار المدن الكبرى فلنا منا ان سكانها هم صفوة الصفوة، في حين ان العكس هو الصحيح. المدن الكبرى قتالة فتاكة لاتتشعش إلا بمن يفد عليها من الآفاق (الرواية: ص 316)».

ولذلك، لاتمنحنا المدن العربية إلا حياة اللامتوقع. نذوهم لحظة او لحظات انه بإمكاننا تبديد الوحشة بالفة مزعومة. اما صفوة الصفوة او من يفد من الآفاق، فإنك تراهم يمرون من غير تخفيف الوطء في مدن قاصية دائبة. نعرفها ولانعرفها، وربما سكنتاها وسكنتنا اعمارنا المتهالكة والمتآكلة ايضا.

إحالات:

(1) Henri Mitterand le discours du roman PUF 1980

(2) Jean Yves Tadie le récit poétique PUF 1978 P. 47.48

(3) Gerard Genette Figures 2 Seuil 1969 P 44.45

(4) Roland Bourneuf et Real ouellet l'univers du ro- man PUF 1972 ed 1989 P 107

(5) Jean Weisgerber lespace romanesque l'âge d'homme 1978 P 14

(6) la mémoire de la ville; sous la direction de Yves Clavaron et Bernard Dieterle; collection centre d'études comparatistes 2003

(7) انظر الفصل الرابع من كتاب Jean Yves Tadie. le ro- man au XX eme siécle

(8) Ulf hanners; explorer la ville; element danthropol- ogie urbaine

(9) Jean Yves Tadie; ibidem

(10) les Langages de la ville; Ouv collectif; presse univers itaire de Mirail 2003

(10) عبدالله العروي: الفريق، رواية، المركز الثقافي العربي، 1989.

(11) عبدالله العروي: الإيديولوجية العربية المعاصرة، ترجمة محمد عيتاني، دار الحقيقة 1979

ملاحظة: ملخص العرض المقدم في مؤتمر القاهرة الثاني للرواية العربية حول: الرواية والمدينة